# آراء وافكار

## قصة زقاق الاربعين

### « أسرة في حلب تحتاج الى التمحيص »

زرت حلب في صيف سنة ١٩٠٩ م متفقداً مكاتبها القديمة وآثارها فعثرت على اشياء مهمة وصفت بعضها في مجلة (النعمة) البطريركية الدمشقية ولا سيما المكاتب المجهولة فيها وبعض أسرها .

وزرت الصديق الالمعي قسطاكي بك الحمصي فأطلعني على قطعة بخط جده لامه المرحوم عبدالله جبرائيل الدلال [١] في تاريخ أسرة الدلال وفي اولها هذه المقدمة بالحرف :

« يجب ان تعلم انه لما شرف لحلب السلطان مراد [٢] المعظم متوجهاً الى فتوح مدينة بغداد وذلك في سنة ١٦٣٨ وقد شاهد هذه المدينة [٣] خالية من وجود سكناء مسيحيين بها في تلك الاوقات فزجر الملك وجوه اهالي هذه البلدة واصدر امره الشاهاني ان تحضر مسيحيين وتسكن بهذه المدينة . وتهدد الاهالي انه لحين رجوعه من بغداد اذا لم يرى مسيحيين قاطنين بها فيقاصصهم . فاقتضى وجوه البلدة يطلبوا من متقدمي مدن القريبة لحلب عِيَال [٤] مسيحيين وأحضروا من الجهات اربعين عيلة وأعطوهم محلة للسكنى وسميت ( بزقاق الاربعين ) تلك المحلة المشهورة الى يومنا هذا [٥] وهي خارج باب النصر .

ولما رجع المرحوم السلطان مراد وشاهد نفوذ امره الشاهاني فانسر من ذلك ومع تمادي الزمان تزايدوا المسيحيين ونموا وقد كان من جملة احد الاربعين عيلة الذين اولاً أحضروهم لحلب بموجب الامر الملوكي كان جدنا الاول وهو المدعو ( متروك ) اي ديمتري من طائفة الروم الملكية ولاجل البيان وتذكراً لمن يأتي بعدنا قد دونته .

---

(١) راجع كتاب ( السحر الحلال في شعر الدلال ) لحمصي بك (٢) هو السلطان مراد الرابع (٣) حلب (٤) اي عيال (٥) والاسم باق الى يومنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفقير عبدالله جبرائيل دلال في هذا الكتاب وذلك بتاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٤ الموافق مسيحية ١٤ ايار سنة ١٨٣٨ [١] .

الفقير
عبدالله جبرائيل دلال

* * *

وقابلت في حلب الصديقين اللوذعيين الخورفسقف جرجس مَنَش وميخائيل افندي الصقال فانكرا قصة زقاق الاربعين . ولما عدت الى زحلة طلبت من الاب منش ادلته على ( قصته الزقاقية ) فكتب اليّ بما حرفيته :

الحكاية الزقاقية = على ان نفراً من المتطرفين غير المحققين قد استنتجوا من هذا [٢] انقراض نصارى حلب باسرهم واستخلافهم بغيرهم فكان رأيهم فائلاً ونتائجهم أوسع من مقدماتهم واسنادهم ساقطة لاستنادهم الى حكاية طويلة هذا محصلها :

قالوا لما دخل السلطان سليم الغازي حلب ظافراً بالغوري آخر ملوك الشراكسة ولم ير فيها احداً من النصارى . قال : لا بد ان يحضروا بعضهم فيراهم فيها بعد عوده اذ ذاك من حرب العجم فاستأتوا باربعين عائلة منهم فعرف الزقاق الذي عمروه منذ ذاك العهد ( بزقاق الاربعين ) انتهى تحصيلاً .

قلت : هي حكاية خرافية لا تثبت على محك الانتقاد على ما اثبته في المشرق الاغرّ ( ٦ : ٣٥٩ ) والآن أعرض دلائلي على الصورة الآتية زيادة في جلائها فأقول : ان السلطان سليماً مهما كان عدله في رعاياه لا يظن احد أنه يأمر باستئناء النصارى الى حلب حتى ينازعوا امته الاسلامية اسباب البقاء . بل مهما كان حبه للنصارى بالخصوص فلا يظن احد انه يدفعه الى الاهتمام بالنصارى كل هذا الاهتمام الذي يُعدّ في غير محله عند كل منصف من الخاص والعام .

والحكاية مختلة من الوجهة التاريخية من عدة وجوه أخصّها ان السلطان سليم

(١) وهنا عدّد تسعة جدود من بني الدلال من ديمتري ( متروك ) الى جبرائيل والده . (٢) كان كاتب المقالة قد بين في مقالة خاصة قبل هذه علاقات الأسر الحلبية بغيرها من الاسر اللبنانية والسورية والعراقية فأشار اليها الآن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغازي حارب الدولة العجمية سنة ٩٢٠ هـ وحارب الغوري سنة ٩٢٢ فتاريخ الحكاية فاسد ثم ان التقليد مسنود الى ابن الشحنة . وقد قلبتُ تاريخه كله . فلم ار منه حرفاً لانه اي ابن الشحنة عاش في غزوة تيمورلنك الشهيرة وبين هذه الغزوة وبين عصر الحكاية المزعومة لا اقل من مئة سنة فكيف يروي ماجرى بعده بسنين متطاولة .

ثم ان الدعوى بانقراض النصارى في حلب منقوضة بادلة صريحة محفوظة عند كل طوائف النصارى اقتصر على اثنين منها :

(الاول) ان العلامة مكسيموس مظلوم يذكر استيلاء المسلمين على كنائس النصارى في حلب ودمشق وانطاكية في نحو اواسط القرن الخامس عشر (القائد الامين ص ٦٠).

و(الثاني) ان كنيسة الموارنة كانت قائمة في اواخر القرن المشار اليه على ماهو مدوّن في ذيل كتاب الفروض الكنسية المصون الآن في مكتبة البطريركية المارونية فهل بعد هذا يسلّم باحث او مؤرخ بانقراض النصارى الموهوم .

ومع هذا كله لا امتري بضعف حال النصارى في أواخر القرون الوسطى ولكنني امتري بمآل هذا الضعف الى حدّ الانقراض والتلاشي كما يزعمون فغاية ما يخرج به هذا التقليد : ان ما حصلت عليه البلاد من الامان والسلام في عهد السلطان العادل دفع فريقاً من أسر النصارى ان يهجروا لبنان وحمص وحماه وسواها ويعمروا حلب فتناقل الخلف عن السلف مثل هذه الانباء الطيبة وتوسعوا في روايتها حتى انتهت الى حد الخرافة وليس هذا هو اول التقاليد الشعوبية المنقوضة بل مثله كثير يحتاج الى التحقيق واعمال الروية . وهذا لايحط من التقليد على عمومه كما لايخفى على كل ذي ذوق سليم .

اما تسمية المحلة ( بزقاق الاربعين ) فهي عامة في حلب وبيروت ودمشق وزمن اطلاقها اكثر قدمية من هذا العهد على ماأظن وسبب تسميتها مجهول في الغالب لا تبينه الدلائل الحاضرة فيما ارى فأدعه الى فرصة أخرى لعل الزمان يكشف عن خبايا القدم اه .

هذا ما كتبه اليّ الاب منشّ على اثر عودتي من حلب كما مرّ وهو منذ سبع عشرة سنة والآن لا أعلم ما ذا ظهر له من هذه المباحث .

وقال صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي الحلبي في كتابه ( نهر الذهب في تاريخ حلب ) الجزء الاول الصفحة ١٩٧ ما نصه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ولما دخل السلطان سليم خان الثاني الى حلب ورأى قلة من فيها من التجار نقل اليها من البلاد المجاورة اربعين أسرة من التجار المسلمين ومثلها من التجار المسيحيين أسكنهم في ( زقاق الاربعين ) المنسوب اليهم اه .

وذكر في كتابه المذكور الجزء الثاني الصفحة ٤٢٧ ما مآله :

حارة زقاق الاربعين عدد بيوتها ٩١ وسكانها من مسلمين ونصارى على اختلافهم ٤٨٤ منهم ٣٩ مسلمون والباقون نصارى .

يحدها قبلة حارة عبد الرحيم وشمالاً الهزازة وغرباً عبد الحي وشرقاً محلة الاكراد . يقال ان هذه المحلة مما أسس في ايام السلطان سليم خان العثماني بعد استيلائه على حلب أحضر اليها اربعين أسرة من المسيحيين ليقوي بهم تجارة حلب على ما ذكرناه في المقدمة في الكلام على النصارى . فبنت تلك الأسر في هذا الموضع اربعين داراً اتخذوها لسكناهم وسميت المحلة بعددهم » ( انتهى قوله ) .

ولم أقف على ما دونه الصديق الشاعر ميخائيل افندي الصقال في كتابيه ( تاريخ حلب القديم ) و ( تاريخها الحديث ) وهما مخطوطان أفرد فيهما باباً كبيراً للبحث في نصارى حلب ومشاهيرهم . ولكنه قال لي شفاهاً في حلب ويوم زارني في مدينة زحلة منذ سنوات انه لا يسلم بحكاية (زقاق الاربعين) ونسبته الى اربعين أسرة سكنته .

* * *

هذا ماحضرني الآن عن ( زقاق الاربعين ) بسطته على علاّته لعل احد الواقفين على حقيقة الخبر يمحصه لان مافيه من المناقضات لا تقبله فلسفة التاريخ ولاسيما ان القصة يسندها بعضهم الى عهد السلطان سليم والآخرون الى السلطان مراد ويهمنا ان تكون هناك حجة قاطعة في صحة الحكاية او تخطئتها لئلا يبقى الكلام فيها مضطرباً .

وليس أجدر من هذه المحلة المعروفة بدقة مباحثها ان تفسح مجالاً لمن يكتب في هذا الموضوع معتمداً على الادلة الصحيحة والآراء السديدة . والله الموفق الى السداد .

زحلة ( لبنان ) : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net